

1436هـ - 2015 م

5

اقلوا عليهم...

إن هي إلا أسماء ..

للشيخ

عمر محمود أبو قتادة

مجموعة نخبة الفكر

اقلوا عليهم [٥] ....

" إن هي إلا أسماء .. "

للشيخ/ عمر محمود أبو قتادة (حفظه الله)

نُخْبَةُ الْفِكْرْ

شعبان ١٤٣٦ هـ – يونيو ٢٠١٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛

مع أن موضوع جماعات الجهاد في سوريا شائك الأمر، والاتحاد بين التنظيمات من المسائل المطروحة، والكل يعلم وجوب الاتحاد وضرورته الشرعية والقدرية، ولكن الاتحاد عملية التصاق في أدنى صورها، وإلا فهي عملية انصهار، وهذا الانصهار الذي نؤمله يعني اتحاد النوع واتفاقه، مع قلة الشوائب، والكل يقول لفظًا: إن الأسماء والأطر إنما هي وسيلة لا غاية، والدين ونصرته هو الغاية، هذا يقال، لكن للواقع حكمه وفصله في هذه القضايا.

كان ما تقدم من الحديث عن التمويل، ومسألة المهاجرين والانصار، والمنهج الذي يحدد الارتباط مع الدول الأخرى هو ما يجب الاعتناء به قبل الحديث عن انفصال طائفة ما عن محورها الأم والأصل؛ ذلك بأنهم يعلمون أن هذه الطائفة قد غيرت اسمها مراراً، وتلون لونها الظاهر الذي هو مجرد علامة واسم كذلك مرارًا، فما الذي ينقموه من هؤلاء الناس؟!

ولم هذا الحديث المحموم بقطع العلائق مع الأصل وكأنه عقدة العقد؟!

حقًّا يحق للمرء أن يخاف من هذه الحمى المفاجئة والتي يدندن الكل حولها: اقطعوا علاقتكم مع تنظيمكم الأم.

السؤال: لم؟

هل حللنا كل القضايا الخلافية حتى نأتي إلى شيء هو أشبه بالإعلان، يصار إليه بعد قطع الطريق ومفاوز القضايا المهمة الشائكة؟!

هل يبدأ تنظيم عاقل بحل نفسه دخولًا مع الآخر قبل أن يتوثق من أن وسائل أهدافه التي يريدها مصونة محفوظة؟!

القصة سهلة: هناك جهاد عظيم بدأ به طلائع جهادية أثبتت قدرتها على التحمل والصمود وسط العواصف، وحيث ذاب الآخرون ثبت هؤلاء، وحيث استطاعوا الوصول بجهادهم من أفغانستان مرورا بكل المنعطفات الخطرة العويصة

حتى صاروا به الى أرض المحشر والمنشر، والكل يعترف أن جذوة الجهاد فكرًا تأصيليا هم رجالها وعمدها، فحيث صار كل هذا جاء من يقول: شرط الاستمرارية إلغاء النسبة.

أنا أفهم أن يكون هذا في الابتداء حيث لا نريد أن نحمّل جهادًا ما تبعات جهاد سابق مرصود، لكن هذا الخوف قد أجبِرنا على تجاوزه اليوم، حيث فرض هذا الاسم من غير خيار أحد حتى اصحاب هذه الجماعات وقادتها، ولذلك صار الحديث عن الاسم حديثًا له مقاصده، خاصة أنهم يعلمون أن مجرد الاتحاد بين فصيل يحمل هذه السمة يعني أن الفصيل الجامع الجديد مرصود مستهدف، ومتهم بما يتهم به الفرع الذي انضم إليهم.

إذا ما هو المقصود؟!

في تقييمي السريع والضعيف أن أعداء هذا التنظيم الذي صارعهم وصارعوه قد رأوا شرخا عظيما قد أصابه بظهور الغلاة، ومجرد الدوام والاتصال مزعج أيما إزعاج، لأنه يذكرهم بالانتصارات التي حققها هذا التجمع والتنظيم، ويذكرهم بآلامهم التي تجرعوها من ضرباته، وهم لا يخافون الصراع، فالسياسيون يعلمون أن الصراع بينهم وبين هذه الأمة لا ينقطع أبدًا، لكن لا يجوز أن يمتد المصارع نفسه كما يمتد أمرهم هم، فهم يحبون أن يسجلوا أنهم قبروا هذا المصارع المخالف الذي أذاقهم الألم والهزيمة، ووقفوا على قبره كما وقف أسلافهم على قبر صلاح الدين، ليسجلوا أن حقبة من الصراع والمدافعة قد انتهت بينهم وبين عدو لهم، انتهت بقبره وإزالته من الوجود، ليقوم مصارع مقاوم آخر، لا يعدمون إزالته بما يملك من مقومات الفناء الداخلي لغيابه عن حس الأمة وحاجاتها ومطالبها، أو بإذابته في كيان جديد، هو عندهم معتدل على وجه من وجوه الاعتدال الذي يمكن ضبطه حتى في الصراع، لأنه كما يقول دهاقنتهم: إنه بمجرد دخول لاعب ضدنا ضمن خطوط الطول أو العرض التي نفرضها يعني أنه مدجن لا يستطيع أن يذهب بعيدا عن قواعد لعبتنا التي تضمن نصرهم .

هذا السعي المحموم في إزالة الاسم له ما بعده من ضبط الصراع والمدافعة على وفق هذا الأمر، ولذلك كان يجب ابتداءً أن يعلم شأن الحليف أو المنصهر معك، أهو على شاكلتك أم يريد توريطك!!.

من هنا يبقى الاسم وقد فرض نفسه رغم خيار الجميع أن يبقى في هذه المرحلة وأن يدوم، لأنه تعبير عن منهج ومطلب لنوع الهدف الذي تسعى إليه هذه الجماعات المجاهدة، وغيابه بلا تجانس مع المنصهر، هذا إن حصل

الانصهار حقيقة لا صورةً يعني غياب الهدف الذي حمله الآباء المؤسسون، ممن أقض مضطجع الطاغوت، وأذاقهم الآلام المبرحة، وحمل تراثا جهادياً عظيماً أزال فيه اللبس بينه وبين الغلاة وبين المتميعين.

ما زالت المعركة قائمة فما الذي جد ليقال لهم استقيلوا فقد جاء خير أعظم منكم، أو أن ما تحملونه قد ورثه غيركم.

للأسف لا يقال هذا البتة، ولو قيل لكان مجرد قوله منقبة للداعي إليه، لكن نَفَس قائله هو الضعف والهزيمة، والهروب من المواجهة للنزول بمطالب الجهاد إلى الأدني لا إلى الأعلى، مع أن الجهاد اليوم بفضل الله تعالى هو أعظم تأثيرًا، وأقوى جذورًا، وأكثر رجالًا، فهل تطور الحالة واقعًا تجعل العاقل يرتد في مطالبه أم يقذف بالمزيد منها؟ هذه الهزيمة تمثلت بالقول: إن وجودكم يضر بجهادنا، ويحمله ما لا يحتمل.

هذه كلمتهم، وهي في ظاهرها الحكمة والتعقل وفي باطنها الضعف والهزيمة، وهي كما تقدم استجابة ما في بعض صورها إن لم يكن في كلها لمطالب الخصم، في ظرف أثبت أن هذا الخصم الذي يرجون رضاه هو من أكبر أعداء هذا الجهاد، والناس لا يلتفتون إلى الإيحاءت المبطنة التي يطلبها الداعمون ماليًّا، ويظنون أنهم في براءة منها، والحقيقة أنها إيحاءات الداعم، تقوم ابتداءً على الرفض، فيفهم المسكين أن أخاه عقبة ما يجب إزالتها، وهو لتقوى ما في قلبه لا يستطيع الاستجابة الكلية لدعوة الشيطان، ولكن للشيطان مداخله، حيث يوحي له – بحسن نية– أن الطريقة هي إدخال الآخر تحت الجبة، فيصبح له قوى أخرى، بها يفرض إيقاع اللعبة مع الخصم في حين ومع الداعم في حين آخر.

لقد صار الاسم عقبة من جهات عدة، وهو في داخله مصدر قوة للجهاد في هذا الظرف، فهناك تراث جهادي يحمله هذا التيار، كان هو الأقدر على وقف الانهيار دون سواه، وهناك قيادة لها تاريخها، ولها ألقها الذي يؤذي خصومه، وما زال ثمنه أعلى الأثمان، ويمثل ثقلًا عظيما ًعلى رقبة الخصوم، وما زال الاسم هو ودون سواه يجلب الحب والتجييش والتعبئة، نعم قد أفسد الغلاة بعض ألقه، لكن ستثبت الأيام قاعدة الشاعر:

لعل عتبك محمود عواقبه ... وربما صحت الأجسام بالعلل

لو تفكر أهل الجهاد بلا ضغوط خارجية، وبلا التقاء مصالح مع الجاهلية، وتساءلوا: أوجود هؤلاء بما أجلبوا من أنصار، وبما أعطوا للجهاد من قواعده الأولى، وبما صنعوا من عمليات هم دون غيرهم من يصنعها، وبما دربوا وبما أحضروا من خبرات، أنفعوا الجهاد أم ضروه؟

يمكن للبعض أن يجيب جوابًا نفسيًّا نعرفهم كما قالوا:

شنشنة نعرفها من أخزم.

وجوابهم في هذه الجماعة والطائفة مبني على حكمهم السابق حتى وهم رأس المواجهة في الجهاد، بل لو قلنا هم رجال الجهاد دون غيرهم لما أبعدنا، لقد كان كلامهم في هذه الجماعة هو الشر والحسد واتباع الهوى.

لكن بحمد الله مع كل ما تلاقي هذه الجماعة من فتن داخلية، وما حصل لها من زلزال تمثل بظهور أهل البغي والغلو، بقيت هذه الجماعة هي الأقدر في هذا الظرف على حمل أمانة الجهاد دون غيرها، وهي دون غيرها ما تحمل مستقبل الجهاد الذي تريده أمة الإسلام منه، أي أن يكون جهادًا يحرر المسلم –كل المسلم–، من الطاغوت كل الطاغوت.

من أجل هذا لكم الحق أن تغيروا كل يوم اسمًا، ولكم أن تبدلوا لباسها ولباس رجالها، البسوا الأفغاني أم الشيشاني أم اليمني أم السوري، لكن ليس لأحد أن يغير وجهة هذا السهم الذي بارك الله فيه، ولا في منهجها، ولا في معانيها الباطنة، وإن شئتم فجربوا أن تفعلوا وسترون حينها أنه لا يتبعكم إلا الهواء والفراغ، فالناس وقد علمتم فتنة الغلاة أنهم بعلمائهم وقادتهم ورجال السبق فيهم في كل مكان يعرفون وجهتهم، ويعرفون نفوسهم ووجهة أرواحهم.

احذروا اللعب في هذا الباب، فلا يقرر هذا قرار أمير ولا قائد، ولا اسم قيادة، بل يقرره الصدق في حمل المهمة، وصدق الدعوى، وإخلاص القصد، وما أنتم إلا أسماء رفعها الله بهذا القصد وهذه المهمة وهذا الانتساب.

يقال هذا حتى مع ما حسم القائد وجهته، ولكنها إبانة زائدة، والذكرى تنفع المؤمنين.

اللهم إني قد قلت نصحي للجميع، فإن غضب منه غاضب فهذا شأن النصيحة يخالف فيها من يخالف، وإن أحبها أقوام، فأرجو أن يكونوا أهلا لحمل مهة الدين وقيادة الأمة.

وفي الختام:

هذا هو الطريق، ولا يضر لون الشارة الدالة عليه، أصبغت بالأبيض أم بغيره، فالعلل هي الحقائق لا الصور ولا الألوان.

اليوم نقول: اثبتوا على ما أنتم عليه حتى يأتيكم من هو أهدى وأرشد، والله الهادي سواء السبيل.

بهذا بحمد الله تمت سلسلة أقلوا عليهم، والحمد لله رب العالمين.